تحقيقها هو الذي أقنعه بأنه نبي. والغريب أن الذي بذل هذا الجهد في محاولة تفسير ظاهرة النبوة لدى محمد رسول الله وإرجاعه فكرة التوحيد إلى فكرة سابقة لظهور محمـــد لم يـــبذل القدر نفسه من الجهد لإقناع القارئ لماذا نجح محمد هذا النجاح المذهـــل في نشر عقيدته حتى أصبحت في زمن وجيز تنافس الديانة الأولى في العالم ألا وهـــي النصرانية في الوقت الذي أخفق فيه كثير من أدعياء النبوة، وسقطت فيه الكثير من الفلسفات والمذاهب الدينية الفاسدة ؟!

هـــذا اســـتعراض وجيـــز لآراء طائفة من المستشرقين الذين درسوا الإسلام وتعـــرفوا مـــن خلاله إلى نبي الإسلام، وظنوا أنهم أحاطوا بقدر كاف من المعرفة بالإســـلام ونبيه تمكنهم من إصدار الحكم له أو عليه، فجاءت دراساتهم في غالب الأحيـــان مشوهة ومبتورة؛ وذلك لافتقارها للنظرة الموضوعية الحقة التي كثيراً ما تشـــدق بهـــا المستشـــرقون. ولعل من أكثر ما يشد انتباه الباحث أن آراء أولئك المستشـــرقين في النبي محمد ورسالته جاءت متشابهة إلى حد كبير. فنرى أن أحدهم يصـــف النبي صلى الله عليه وسلم بكل أوصاف العظمة إلا أنه يعزو نبوته وظاهرة الوحي إلى حالة من الهوس، ومحمد في نظره من فصيلة المهووسين. وأنه اختار دينه خليطاً من الأديان الأخرى. بينما يرى باحث آخر أن نبوة محمد مظهر من مظاهر طموحاتـــه الشخصـــية أي ليس لها علاقة بالنبوة الحقة. ومحمد حسب رأي آخر: إنسان يعاني من مس يعتاده في الغالب، ويخيل إليه أن الحجارة تحييه بلقب. "رسول الله" وكذلـــك يرى أحد المستشرقين: أن محمداً قد سمع ورأى كائنات غير عادية وصفها لها اليهود والنصارى، إضافة إلى انقداح ذهنه بكلام كانت عناصره مكونة مـــن تجاربـــه الحقيقيـــة. ونظر إليه مستشرق آخرعلى أنه لا يعدو كونه مصلحاً اجـــتماعياً يدعـــو إلى الاشـــتراكية والمســـاواة. بينما شعور محمد بالنبوة في رأي مستشرق آخر لم يتمثل لـــه بصورة حقيقية إلا بعد انتصاره في معركة بدر. ولعل أمـــثل أولئك المستشرقين طريقة في تفسيره لنبوة محمد رسول الله هو إرجاع ذلك